الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على اشرف الانبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

عن أبي أُمامة - رضي الله عنه - قال - صلَّى الله عليه وسلَّم -:

((إذا أراد الله بعبدٍ خيرًا طهَّره قبل موته))، قالوا: وما طهور العبد؟ قال: ((عملٌ صالحٌ يُلهِمه إياه حتى يقبضَه عليه.

السلسلة الصحيحة

المعنى الاجمالي :

حسن الخاتمة هو: أن يوفق العبد قبل موته للتقاصي عما يغضب الرب سبحانه، والتوبة من الذنوب والمعاصي، والإقبال على الطاعات وأعمال الخير، ثم يكون موته بعد ذلك على هذه الحال الحسنة، أما الخاتمة السيئة فهي: أن تكون وفاة الإنسان وهو معرض عن ربه جل وعلا، مقيم على مساخط سبحانه، مضيع لما أوجب الله عليه، ولا ريب أن تلك نهاية بائسة، طالما خافها المتقون، وتضرعوا إلى ربهم سبحانه أن يجنبهم إياها.

وقد كان السلف الصالح يخافون من سوء الخاتمة خوفاً شديداً، قال سهل التستري: خوف الصديقين من سوء الخاتمة عند كل خطرة وعند كل حركة، وهم الذين وصفهم الله تعالى إذ قال: { وقلوبهم وجلة }[المؤمنون:60].

أي يلهمه التوبة وملازمة العمل الصالح كما يحب وينبغي حتى يملّ الخلق ويستقذر الدنيا ويحن إلى الموت ويشتاق إلى الملأ الأعلى فإذا هو برسل الله تعالى يردون عليه بالروح والريحان والبشرى والرضوان من رب راض غير غضبان فينقلونه من هذه الدار الفانية إلى الحضرة العالية الباقية فيرى لنفسه الضعيفة الفقيرة نعيماً مقيماً وملكاً عظيماً.

ومن إكرام الله تعالى وتوفيقه إلهامه العبد من عباده التزود من الطاعات وأعمال الخير قبل موته ووفاته، وذلك من علامات حسن الخاتمة: أن يوفق العبد قبل موته للابتعاد عما يغضب الرب سبحانه، والتوبة من الذنوب والمعاصي، والإقبال على الطاعات وأعمال الخير، ثم يكون موته بعد ذلك على هذه الحال الحسنة.

ما المراد بتطهيره؟

: ((عملٌ صالحٌ يُلْهِمه))؛ أي: يُلهِمه الله – تعالى – إيَّاه، والإلهام ما يُلقى في الرُّوعِ بطريق الفيضِ، ويدوم كذلك ((حتى يقبضَه عليه))؛ أي: يميتَهُ وهو متلبِّس به، فمن أراد الله به خيرًا طهَّره من المادَّة الخبيثة قبل الوفاة؛ حتى لا يحتاجَ لدخول النار ليطهِّره، فيلهمه الله – تعالى – التوبة، ولزوم الطاعات، وتجنُّب المخالفات، أو يصاب بالمصائب وأنواع البلاء المكفرات؛ ليطهُرَ من خبائثه مع كراهته لِما أصابه: ﴿ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ ﴾ [البقرة: 216]؛ ولهذا كان الأبُ أو الأمُّ يسوق لولده الحجَّام أو الطبيب ليعالجه بالمراهم المؤلمة الحادَّة، ولولا إطاعة الولد لَما شُفِي.

أسباب حسن الخاتمة

* من أعظمها: أن يلزم الإنسان طاعة الله وتقواه، وراس ذلك وأساسه تحقيق التوحيد، والحذر من ارتكاب المحرمات، والمبادرة إلى التوبة مما تلطخ به المرء منها، وأعظم ذلك الشرك كبيره وصغيره.

* ومنها: أن يلح المرء في دعاء الله تعالى أن يتوفاه على الإيمان والتقوى.

* ومنها: أن يعمل الإنسان جهده وطاقته في إصلاح ظاهره وباطنه، وأن تكون نيته وقصده متوجهة لتحقيق ذلك، فقد جرت سنة الكريم سبحانه أن يوفق طالب الحق إليه، وان يثبته عليهن وأن يختم له به.

عن علامات حسن الخاتمة فهي كثيرة، وقد تتبعها العلماء رحمهم الله باستقراء النصوص الواردة في ذلك، ونحن نورد هنا بعضا منها، فمن ذلك: * النطق بالشهادة عند الموت.

* ومنها: الموت ليلة الجمعة أو نهارها.

* ومنها: الاستشهاد في ساحة القتال في سبيل الله، أو موته غازيا في سبيل الله، أو موته بمرض الطاعون أو بداء البطن كالاستسقاء ونحوه، أو موته غرقاً،

* ومنها: الموت بسبب الهدم.

* ومن علامات حسن الخاتمة، وهو خاص بالنساء : موت المرأة في نفاسها بسبب ولدها أو هي حامل به.

* ومنها الموت بالحرق وذات الجنب.

* ومنها: الموت بداء السل، حيث أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه شهادة.

* ومنها: الموت رباطا في سبيل الله،

* ومن علامات حسن الخاتمة الموت على عمل صالح،

* الموت برشح الجبين.

* العلامة التي يظهر بها للعبد حسن خاتمته فهي ما يبشر به عند موته من رضا الله تعالى واستحقاق كرامته تفضلا منه تعالى، كما قال جل وعلا: {إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون} .. فصلت : 30 ، وهذه البشارة تكون للمؤمنين عند احتضارهم.* فمن إكرام الله تعالى وتوفيقه إلهامه العبد من عباده التزود من الطاعات وأعمال الخير قبل موته، وأفضل الأعمال التي يوفق لها المسلم ويطيب ذكره ومنفعته في حياته وبعد مماته الوقف لأبواب الخير؛ وذلك من علامات حسن الخاتمة أن يوفق العبد قبل موته لعمل صالح يدوم نفعه وأجره؛ وأفضل ما يدوم فيه النفع هو الوقف، بأن يحبس مما يملك ويجعله وقفاً لله تعالى. وهذه العلامات هي من البشائر الحسنة التي تدل على حسن الخاتمة، ولكننا مع ذلك لا نجزم لشخص ما بعينه أنه من أهل الجنة إلا من شهد له النبي صلى الله عليه وسلم بالجنة كالخلفاء الأربعة.. نسأل الله تعالى أن يرزقنا حسن الخاتمة.

الفوائد :

1- إلزام النفس بالعمل الصالح والتجديد بالأعمال التي تقرب إلى الله تعالى.

2-العمل الصالح إن كان تعدى ينفع النفس إلى ما ينفع الآخرين كان أجره أعظم لأنه دال على الخير.

3-على المسلم التوبة والإنابة قبل غلق الإجابة، فما زال الباب مفتوحًا، وأبواب الخير عظيمة فاجتهد بما ينفع نفسك والمسلمين.

4- المسلم ذو همة عالية من التكليف حتى الممات، مهما اعترته عقبات الحياة، وتشويش الأعداء، وظلم الآخرين.

5- ومن حسن الخاتمة أن يوفق العبد قبل موته للتوبة من الذنوب والمعاصي، والإقبال على الطاعات وأعمال الخير، ثم يكون موته بعد ذلك على هذه الحال الحسنة، وهذا من علامات حسن الخاتمة، فيتذكره الناس بفعله للخير، وبما حبسه لله تعالى من وقف لنفع المسلمين وغيرهم، فكم من الأوقاف بقيت بعد موت واقفها، يدعى له بالرحمة والمغفرة على ما قدم.

6- حث للمداومة على الأعمال الصالحة، وهي من أحبّ الأعمال إلى الله، ومن علامات التوفيق أن يوفق العبد لنفع الناس، وقضاء حوائجهم، كما صح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: «أحب الناس إلى الله أنفعهم». وإذا قبل الله تعالى عمل عبد من عباده، وفقه إلى عمل صالح بعده.

7- للعمل الصالح جزاءٌ في الدنيا والآخرة، فالجزاء في الدنيا حسن رعاية الله، ففي الحديث القدسي: «وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته:كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها». وفي الآخرة الأجر الواسع من رب العالمين.

8- العمل الصالح توفيق من الله تعالى، وهو بيد الله وليس بيد العبد، والتوفيق مفتاحه الدعاء والافتقار وصدق اللجوء والرغبة والرهبة إليه

9- روى ابن ماجه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

((إن مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته علماً علمه ونشره , وولداً صالحاً تركه , ومصحفاً ورثه أو مسجداً بناه , أو بيتاً لابن السبيل بناه , أو نهراً أجراه , أو صدقةً أخرجها من ماله في صحته وحياته تلحقه من بعد موته))حسنه الألباني رحمه الله في صحيح ابن ماجه.

10- إن أعظم ما يمكن أن يكون من علامات التوفيق هو التوفيق للعمل الصالح عموماً على اختلاف أنواعه بدنياً أو مالياً أو قولياً، والله عزوجل بيَّن أن الطاعة والتوفيق لها هو الفوز العظيم فقال سبحانه { وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً }.

11- من توفيق الله للعبد: أن يوفقه للتوبة الصادقة من المعاصي، أو يحول بينه وبينها، فلا يستطيع أن يصل إليها، فإن هذا من التوفيق والسداد وإرادةِ اللهِ بعبده الخير، فالله جل وعلا يحب التوبة لعبده قال تعالى: ﴿ وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: 27]

12- علامات توفيق الله للعبد أن ييسر له خدمة الناس ونفعهم وقضاء حوائجهم وإدخال السرور عليهم، والسعي في أمور الأيتام والأرامل والفقراء والمساكين

13- علامات توفيق الله للعبد أن يوفقه الله للخصال الكريمة والأخلاق الحسنة، وسلامة الصدر، ومحبة الخير للمؤمنين، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إن خياركم أحاسنكم أخلاقًا))،

14- أن يعلم العبد المذنب سعة رحمة الله، وقبوله لتوبة التائبين، وكرمه وعفوه الذي يعامل به التائب، فمن ذلك أن الله تعالى قال: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الشورى: 25

15- مِما يُكرِمُ اللهُ به العبد الصادق في توبته أن يمحو الله عنه إثم الذنب وآثاره على القلب، بل يبدله حسنات.

والله أعلم .....وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

إذا أراد الله بعبدٍ خيرًا طهَّره قبل موته





أخي الكريم ساهم في الدعوة إلى الله بنسخ هذه المطوية وتوزيعها عسى أن تكون لك حسنة جارية والدال على الخير كفاعله .

أعدَها (عزمي إبراهيم عزين)